القيم وطرق تعلُّمها وتعليمها

للدكتور/ فؤاد علي العاجز

أستاذ أصول التربية المشارك

كلية التربية الجامعة الإسلامية ـ غزة

obeikandl.com

obeikandl.com

ملخص الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحديد المقصود بالقيم ومكوناتها ومصادرها وخصائصها وبيان أهم وظائفها وتحديد المقصود بالقيم الإسلامية وبيان أهم الطرق التى يمكن استخدامها لغرس القيم وتنميتها لدى الفرد، وبيان أهم الطرق التى اتبعها الإسلام مع تقديم المقترحات الخاصة بتنمية القيم وتنميتها لدى الفرد، وبيان أهم الطرق التى اتبعها الإسلام مع تقديم المقترحات الخاصة بتنمية القيم الإسلامية.

منهج الدراسة وصفى تناول معنى القيم وهل هى نسبية أم مطلقة ومكونات القيم ومصادرها وخصائصها وتصنيفاتها والفرق بينهما وبين الاتجاهات والعادات الاجتماعية والمعايير والاهتمامات، كما تناولت الدارسة وظائف القيم فى حياة الفرد والمجتمع، وكذلك القيم الإسلامية ومجالاتها وخصائصها ومصادرها ثم القيم التربوية وأهميتها.

وأوصت الدراسة بالاهتمام بغرس القيم الإسلامية فى الطفل منذ نعومة أظافره،واستخدام أكثر من طريقة فى تعليم القيم كالموعظة والقصة والتأكد من ممارسة الطفل للقيم التى يتعلمها، والاهتمام بأن يكون المربى قدوة صالحة للتلميذ أو الطفل، واستغلال الطاقات الكامنة لدى الأطفال وتوجيهها فى الاتجاه الصحيح، والعمل على ملء فراغ الأطفال بما فيه فائدتهم جسميًا وعقليًا وفكريًا وخلقيًا.

Abstract

The aim of this study was to provide a definition to the concept and to identify the components, characteristics and functions of values. In addition the study-aimed to identify the concept of Islamic values and to differentiate between Islamic values and spiritual values. Moreover, the study aimed to identify the relationship between values and education and to highlight the most important methods of teaching and developing values, with reference to Islamic methods.

The researcher used the descriptive method to identify values and it's components, sources and characteristics and to differentiate between values and attitudes, norms, standards and interests, In addition the study highlighted the function of values and educational values.

The researcher provided the following recommendation:-

The study recommended that Islamic values should be developed among children as early as possible using more than one method, Moreover, parents and teachers should ensure that children implement the values they learnt.

In addition, teachers should be a model for their students to follow. Finally teachers and parents should cultivate the latent potentials of the children and direct them to the right direction and provide activities develop children physically minutely, intellectually and morally.

مقـــــدمـة

يمر مجتمعنا العربى والإسلامى بفترة حرجة من حياته تتسم باهتزاز القيم، واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية، وكثرة حالات الخروج على تعاليم الدين الحنيف.

فنظرة إلى الحياة النفسية والاجتماعية التى يحياها شباب العروبة والإسلام تؤكد ما يعانونه من اغتراب نفسى وخلل قيمى مخيف.

وفى هذا العصر ـ عصر التطور التقنى والانفجار المعرفى ـ نجد أن الأمور تسير فى طريق إبعاد الفرد والمجتمع عن قيمه ودينه أكثر فأكثر، ابتداء من الانبهار بالتطور التقنى والتجاوب معه دون وجود رصيد قيمى وسلوكى يضبط الحياة، مروراً بالميل المتنامى لدى كثير من الأفراد نحو اللامبالاة بما يقترفه بعض الأفراد والجماعات فى المجتمع من سلوكيات تتنافى وقيم هذا المجتمع، إضافة إلى ظهور بعض التيارات والدعوات التى تنادى صراحة أو ضمنيًا بالخروج على هذه القيم، مع تسلل القدوة السيئة التى لا تتفق مع قيمنا إلى معظم البيوت من خلال أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة بحيث أصبحت هذه القدوة ـ مع مرور الوقت ـ شيئًا مألوفًا. هذا مع انشغال الناس في هذه الأيام أكثر فأكثر بهموم لقمة العيش التى أصبح تحصيلها يستنزف معظم وقت وجهد رب الأسرة (المجلس القومى للتعليم، ١٩٩٣، ٢١٥ ـ ٢١٦).

إن استعراض هذه الأمور لا يعنى القنوط واليأس من الإصلاح، أو أنها دعوة إلى تثبيط العزائم والهمم، والخنوع إلى هذا التيار الجارف من «اللاقيمية» التى تسود العالم عامة، ومن ضمنه المجتمعين العربى والإسلامى، بل إن ذلك يؤكد أن على المخلصين فى هذا المجتمع ـ وهم كثيرون بحمد الله ـ أن يأخذوا الأمر بعين الجد، وأن يعدوا لهذا الأمر عدته، وأن يكونوا على قدر المسئولية فيسعوا جاهدين إلى مقاومة هذا الشر المستشرى، وتحصين النشء بالقيم والأخلاق والعقيدة الإسلامية الصحيحة، وترسيخها لديهم حتى يواجهوا بثبات هذا التيار الجارف.

وتقف التربية والتعليم فى مقدمة الوسائل التى يمكن أن تستخدم فى تنمية وتطوير القيم لدى الفرد، وتحصين المجتمع من تيارات اللاقيمية الوافدة إليه من المجتمعات غير الإسلامية.

وتدور هذه الدراسة حول المحاور التالية:

(١) القيم: تعريفها، مكوناتها، مصادرها، مؤشراتها، تصنيفاتها، العلاقة بينها وبين بعض المصطلحات كالاتجاهات والمعايير، خصائصها، وظائفها ودورها فى حياة الفرد والمجتمع.

(٢) القيم الإسلامية: مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها.

(٣) تعلم وتعليم القيم: طرق غرس القيم، طرق تطوير القيم لدى الأطفال فى البيت والمدرسة، أساليب تدريب الأطفال على تمثل القيم واكتسابها، القيم والمناهج الدراسية، التكامل بين مؤسسات التعليم فى تعليم القيم.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

(١) تحديد المقصود بالقيم - بصورة عامة - ومكوناتها ومصادرها وخصائصها وتصنيفاتها والفرق بينها وبين المصطلحات الأخرى كالاتجاهات والمعايير والعادات الاجتماعية والاهتمامات.

(٢) بيان أهم وظائف القيم وأهميتها لكل من الفرد والمجتمع.

(٣) تحديد المقصود بالقيم الإسلامية ومجالاتها وخصائصها ومصادرها والفوق بينها وبين مصطلح «القيم الروحية».

(٤) تحديد العلاقة بين القيم والتربية، مع بيان أهمية غرس القيم فى هذا الوقت.

(٥) بيان أهم الطرق التى يمكن استخدامها لغرس القيم وتنميتها لدى الفرد سواء فى البيت أو المدرسة.

(٦) بيان أهم الطرق التى اتبعها الإسلام فى غرس القيم الإسلامية لدى المسلمين.

(٧) تقديم بعض المقترحات الخاصة بتنمية القيم الإسلامية فى نفوس طلابنا.

أهمية الدراسة:

(١) تكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية القيم نفسها فى حياة الفرد والمجتمع.

(٢) الواقع الراهن فى مجتمعنا العربى والإسلامى الذى أخذ يبتعد شيئًا فشيئًا عن قيمه ومبادئه ويتنكر لها.

(٣) الواقع العالمى الحالى الذى تتميز بالتقدم التكنولوجى الهائل والتواصل السريع بين أجزائه مما قد يؤثر سلبًا على قيمنا ومبادئنا.

(٤) أهمية بيان الدور الذى يمكن أن تلعبه الأسرة والمدرسة فى غرس القيم وتنميتها والتصدى لهذه الموجة العاتية من « اللاقيمية » التى تجتاح العالم.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفى التحليلى وذلك بحسب طبيعة الدراسة ولحاجتها إليها:

أولاً: القـــيم

معنى "القيم لغة":

القيمة: مفرد «قيم» «لغة» من «قوم» و«قام المتاع بكذا أى تعدلت قيمته به».

والقيمة: الثمن الذى يقوم به المتاع، أى يقوم مقامه، والجمع: القيم، مثل سدرة وسدر، وقومت المتاع: جعلت له قيمة. (طهطاوى، ١٩٩٦، ٣٩).

والقيمة فى اللغة تأتى بمعان عدة:

ـ تأتى بمعنى التقدير، فقيمة هذه السلعة كذا، أى تقديرها كذا.

ـ وتأتى بمعنى الثبات على أمر، نقول فلان ما له قيمة، أى ماله ثبات على الأمر.

ـ وتأتى بمعنى الاستقامة والاعتدال، يقول تعالى : «إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » أى يهدى للأمور الأكثر قيمة، «أى للأكثر استقامة».

معنى "القيم" إصطلاحًا:

نظراً لأن مصطلح «القيم» يدخل فى كثير من المجالات، فقد تنوعت المعانى الاصطلاحية له بحسب المجال الذى يدرسه، وبحسب النظرة إليه.

ـ فعند علماء الاقتصاد: هناك قيم الإنتاج وقيم الاستهلاك، وكل له مدلوله الخاص.

ـ وعند علماء الاجتماع: القيمة هى الاعتقاد بأن شيئا ما ذا قدرة على إشباع رغبة إنسانية، وهى صفة للشىء تجعله ذا أهمية للفرد أو للجماعة، وهى تكمن فى العقل البشرى وليست فى الشىء الخارجى نفسه. (طهطاوى، ١٩٩٦، ٤٠).

ـ وعند الفلاسفة : تعد القيم جزءا من الأخلاق والفلسفة السياسية.

ـ أما المعنى الإنسانى للقيمة فيتمثل فى أنها هى المثل الأعلى الذى لا يتحقق إلا بالقدرة على العمل والعطاء.

ـ وفى الرياضيات تستخدم القيمة للدلالة على الكم لا على الكيف.

ـ أما المعنى الفنى لكلمة «القيمة» فهى تجمع بين الكم والكيف، وتعبر عن العلاقات الكمية التى بين الألوان والأصوات والأشكال، فالقيمة الفنية للرسم مثلا تتألف من النسب بين الظلال والأضواء والألوان.

ـ وأما القيمة اللغوية (وهى غير المعنى اللغوى للقيمة) فهى قيمة اللغة، وهى لا تتأتى إلا فى كون الكلمات لها قيمة نحوية تبين معناها ودورها فى الجملة وأن الألفاظ لها دلالة قوية تتسم بالعمومية ... إلخ. (محمد، ١٩٨٩، ١٢ ـ ١٤).

ـ وهناك من يعرف القيم بأنها مرادفة للاتجاهات والاهتمامات «إلبرت وفيرمان».

ـ وهناك من جعل القيم مرادفة للاهتمامات والتفضيلات «ثورنديك».

ـ وهناك من قال بأن القيم يمكن رؤيتها من خلال صور سلوكية أربعة هى:

جوانب وأشياء مطلقة لها هويتها المستقلة، خصائص الأشياء مادية وغير مادية، مفاهيم تبرز من خلال حاجات الفرد البيولوجية، أفعال تترجم للقيم محل الاهتمام «موريس».

ـ ويرى (عزيز حنا) أن القيم عبارة عن تنظيمات تتعلق بالاختيار والفعل وهى مكتسبة من الظروف الاجتماعية.

ـ فى حين يرى «عطية هنا» أن القيم تنظيمات معقدة لأحكام عقلية وانفعالية نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعانى، سواء كان هذا التقدير ناشئًا عن هذا الشىء بصورة صريحة أو ضمنية.

ـ وقد عرف «أبو العنين» القيم بأنها «مجموعة من المعايير والأحكام تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية وبحيث تمكنه

من اختيار أهداف وتوجهات لحياته يراها جديرة لتوظيف إمكانياته، وتتجسد فى القيم من خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملى أو اللفظى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة».

ـ أما «لجنة القيم والاتجاهات» التى شكلتها وزارة التربية والتعليم الأردنية عام ١٩٨٠م فقد عرفت القيمة كما يلى: «القيمة» معنى وموقف وموضع التزام إنسانى أو رغبة إنسانية، ويختارها الفرد بذاته للتفاعل مع نفسه ومع الكلية التى يعيش فيها، ويتمسك بها». (الناشف، ١٩٨١، ٢).

ـ كما عرفت القيم بأنها «مجموعة من القوانين والمقاييس تنشأ فى جماعة ما، ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال المادية والمعنوية، وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح لها صفة الإلزام والضرورة والعمومية، وأى خروج عليها أو انحراف على اتجاهاتها يصبح خروجًا عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا». (أحمد، ١٩٨٦، ٢٥٠).

وتتبنى هذه الدراسة التعريف التالى للقيم:

«القيم مقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية، من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها».

القيم هل هى نسبية أم مطلقة؟

هناك اختلاف بين ما تناولوا موضوع القيم، هل هى نسبية أم مطلقة؟

ـ والبراجماتيون «أو النفعيون» يرون أن القيم نسبية، فليس هناك خير مطلق أو شر مطلق، فالخير أو الشر راجع للممارسة والخبرة، ومن أنصار هذا الرأى «كونت» الذى ربط القيمة بالواقع والملاحظة بالتجربة ونادى بارتباط القيم بالأشياء الحسية، وكذلك «وليام جيمس» و« ديوى» الذى يرى أن الخبرة والممارسة ينبوع القيم.

ـ أما المثاليون فعلى النقيض من ذلك، فهم يرون أن القيم مطلقة لأن القيم الحقيقية هى فى عالم المثل كذلك فهى ثابتة ومطلقة وفيها الخير سواء مارسها الإنسان أو لم يمارسها.

ـ وأما فى الإسلام فإن القيم ـ من هذه الناحية قسمان:

١ ـ قيم مطلقة كالصدق والأمانة والعدل... وهى التى لا اجتهاد فيها.

٢ ـ قيم نسبية مما ليس فيها نص وتحتاج إلى اجتهاد أوإجماع لإقرارها.

هذا بالإضافة إلى أن هناك مرونة فى ممارسة بعض القيم «فقيمة الإنفاق فى سبيل الله» يمكن ممارستها بصور شتى بحسب طبيعة الموقف.

مكونات القيم:

تتكون القيم من ثلاثة مستويات رئيسية هى:

المكون المعرفى، والمكون الوجدانى، والمكون السلوكى.

ويرتبط بهذه المكونات المعايير التى تتحكم بمناهج القيم وعملياتها وهى:

الاختيار، والتقدير، والفعل.

أ ـ المكون المعرفى: ومعياره «الاختيار»، أى انتقاء القيمة من أبدال مختلفة بحرية كاملة بحيث ينظر الفرد فى عواقب انتقاء كل بديل ويتحمل مسئولية انتقائه بكاملها، وهذا يعنى أن الانعكاس اللاإرادى لا يشكل اختياراً يرتبط بالقيم.

ويعتبر الاختيار المستوى الأول فى سلم الدرجات المؤدية إلى القيم، ويتكون من ثلاث درجات أو خطوات متتالية هى:

استكشاف الأبدال الممكنة، والنظر فى عواقب كل بديل، ثم الاختيار الحر.

ب ـ المكون الوجدانى: ومعياره «التقدير» الذى ينعكس فى التعلق بالقيمة والاعتزاز بها، والشعور بالسعادة لاختيارها والرغبة فى إعلانها على الملأ.

ويعتبر التقدير المستوى الثانى فى سلم الدرجات المؤدية إلى القيم ويتكون من خطوتين متتاليتين هما:

الشعور بالسعادة لاختيار القيمة، وإعلان التمسك بالقيمة على الملأ.

جـ ـ المكون السلوكي: ومعياره «الممارسة والعمل» أو «الفعل»، ويشمل الممارسة الفعلية للقيمة أو الممارسة على نحو يتسق مع القيمة المنتقاة، على أن تتكرر الممارسة بصورة مستمرة في أوضاع مختلفة كلما سنحت الفرصة لذلك.

وتعتبر الممارسة المستوى الثالث فى سلم الدرجات المؤدية إلى القيم، وتتكون من خطوتين متتاليتين هما:

ترجمة القيمة إلى ممارسة، وبناء نمط قيمى.

مصادر القيم:

للقيم مصادر عديدة، وتختلف هذه المصادر من مجتمع لآخر، وفي المجتمع العربى والإسلامى يمكن حصر مصادر القيم فيما يلى:

١ ـ الدين الإسلامى: متمثلا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والإجماع والاجتهاد، وهذا المصدر هو المصدر الأساسى للقيم فى مجتمعنا، وإن أخذ التمسك بها يضعف شيئا فشيئا إلى أن يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمور دينها، وقد بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء. وجميع القيم المستمدة من هذا المصدر هى الخير كله، ومصدر سعادة للبشرية فى دنياها وأخراها إن تمسكت بها حق التمسك.

٢ ـ العصر الجاهلى: حيث إن هناك قيمًا لا زال كثير من الناس يتمسك بها وكانت سائدة فى العصر الجاهلى، وبعض هذه القيم قيم إيجابية كالنخوة والشجاعة وإغاثة الملهوف، وبعضها قيم سلبية تضر الأفراد والمجتمع كالعصبية القبلية والأخذ بالثأر. (عبد الوهاب، ١٩٨٦، ٨٢).

٣ ـ التراث الإنسانى العالمى: فنظراً لسهولة الاتصال بين أجزاء العالم أصبح من السهل انتقال القيم من جزء لآخر، وقد وفدت إلينا كثير من القيم من العالم غير الإسلامى، وبعض هذه القيم قيم إيجابية نافعة كالمنحى النظامى والتخطيط وهناك قيم سلبية ضارة كالتفكك العائلى وقلة الروابط الاجتماعية.

٤ ـ مواد الدراسة المنهجية: فقد ظهرت على المستوى التربوى كثير من القيم ذات العلاقة بالدراسة المنهجية، وأغلبها نافع ومفيد إذا ما طبق تطبيقًا سليمًا مراعيًا واقعنا وظروفنا، ومن هذه القيم: الاستدلال، الدقة، التساؤل، العصف الفكرى... إلخ. (الناشف، ١٩٨١، ٨٢).

خصائص القيم:

للقيم ـ بصورة عامة ـ عدة خصائص نوجزها فيما يلى:

ـ القيم لها معان مجردة، ولكن يجب أن تتلبس بالواقع والسلوك، فالقيم يجب أن يؤمن بها الإنسان بحيث تصبح موجهة لسلوكه حتى يمكن اعتبارها قيمًا، ولذلك جاء فى القرآن الكريم كثيراً قوله تعالى :«الذين آمنوا وعملوا الصالحات» وفى الحديث الشريف: «الدين المعاملة».

ـ المعرفة بالقيم قبلية ولا تأتى فجأة فالإدراك العقلى لابد من توافره مع القيم، ولابد أن يكون مصحوبًا بالانفعال الوجدانى.

ـ القيم تقتضى الاختيار والانتقاء، وهذا يقتضى أن تكون لنا حرية.

ـ التدرج القيمى ليس جامداً بل متحرك متفاعل، والسلم القيمى قد يهتز سلبًا أو إيجابًا.

ـ تقوم القيم بعملية توجيه للفرد وسلوكه فى الحياة.

ـ للقيم علامات فارقة «مميزة» أى أن لها مؤشرات من خلالها نفرق بينها وبين العادات.

ـ القيم متداخلة مترابطة ومتضمنة، حيث إنها تتضمن الجوانب المعرفية والوجدانية والسلوكية كما أنها متضمنة من حيث التطبيق، فالعدل مثلا قيمة سياسية وقيمة أخلاقية أيضًا.

مؤشرات القيم:

هناك مؤشرات تدل على القيم، وتميز بينها وبين العادات وتتمثل هذه المؤشرات فى ظهور اهتمامات الشخص بالقيمة واتجاهاته نحوها، بالإضافة إلى الآمال والتطلعات والمشاعر والمعتقدات والقناعات وأوجه النشاط والأفعال والهموم والمشكلات التى يبرز من خلالها جميعا أن هذا الشخص يتبنى القيمة الفلانية، ومن خلال هذه المؤشرات يتضح العمق الثقافى للقيم بالإضافة إلى المكونات الثلاث المعرفى والوجدانى والسلوكى.

تصنيفات القيم:

اتضح لنا فيما مضى أن القيم متضمنة ومتداخلة ومن الصعب تصنيفها بدقة، ولكن تم تصنيف القيم ـ لأغراض الدراسة ـ تصنيفات متعددة بحسب عدد من الاعتبارات، كما يتضح مما يلى:

ـ صنفها عبد الرحمن بدوى إلى ثلاث مجالات:

قيم عقلية، وقيم جمالية، وقيم أخلاقية.

ـ وصنفها البعض على أساس ما هو مادى محسوس وغير محسوس.

أ ـ قيم مادية. ب ـ قيم روحية.

وصنفها البعض بحسب الأشخاص:

أ ـ قيم نظرية ب ـ قيم اقتصادية

جـ ـ قيم جمالية د ـ قيم اجتماعية

هـ ـ قيم دينية و ـ قيم سياسية

ز ـ قيم فنية (طهطاوى، ١٩٩٦، ٤٦ ـ ٤٨).

ـ وقد صنف عبد الحميد الهاشمى وفاروق عبد السلام القيم إلى:

أ ـ قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع ربه.

ب ـ قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع نفسه.

جـ ـ قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع الآخرين.

أما أبو العنين فقد صنف القيم إلى:

١ ـ قيم روحية وعقدية، كحب الله والإيمان بالله والجهاد فى سبيل الله.

٢ ـ قيم خلقية، كالعدل والأمانة والصدق وإكرام الضيف والتعاون.

٣ ـ قيم عقلية تتصل بالمعرفة وطرق الوصول إليها، كاستخدام التجربة والتفكير الناقد.

٤ ـ قيم وجدانية وانفعالية، كالحب والكره وضبط النفس عند الغضب.

٥ ـ قيم اجتماعية، مثل بر الوالدين والتكافل الاجتماعى والإحسان للجيران.

٦ـ قيم مادية تتصل بالعناصر المادية، كالاعتناء بالجسم والاقتصاد فى الإنفاق.

٧ ـ قيم جمالية تتصل بالتذوق الجمالى وإدراك الاتساق فى الأشياء والاعتناء بالمظهر والنظافة والنظام.

الفرق بين القيم والاتجاهات:

الاتجاه عبارة عن نزعة أو ميل إلى القيام أو رد فعل إيجابى أو سلبى أو محايد نحو الأشخاص أو الأفعال أو القيم والأفكار أو المعلومات أو الأحداث أو الأوضاع.

وقد أمكن التمييز بين القيم والاتجاهات من عدة نواح، من بينها:

ـ القيم مفهوم اجتماعى يتعلق بماهية الأشياء ونظرة الجماعات والشعوب لها، أما الاتجاه فهو مفهوم فردى يتعلق بمواقف الأفراد والجماعات الصغيرة.

ـ القيم أكثر ثباتا وديمومة من الاتجاهات، وأصعب تغييراً وتطويراً.

ـ القيم غالبًا ما يكون قياسها أسهل من قياس الاتجاهات بسبب ميل صاحبها لإشهارها.

ـ القيم يمكن التعبير عنها بصيغ منطقية وواضحة مثل «أعتقد أن الله موجود»، أما الاتجاهات فيصعب التعبير عنها باعتبارها نزعات إنسانية وردود فعل المرء العاطفية نحو الأشياء، فهى تعبير عن المشاعر ومتقلبة.

ـ تشكل القيم جزءاً من ثقافة المرء والمجتمع فهى قيم جماعية، أما الاتجاهات فهى لا تشكل جزءاً من ثقافة المجتمع بل هى نزوع فردى أو جماعى محدود نحو الأشياء والأشخاص.

ـ لا يمكن إخفاء القيم ويحرص الإنسان على إظهارها فى سلوكه، أما الاتجاهات فيمكن إخفاؤها.

ـ القيم لا تكون إلا إيجابية وخيرة، أما الاتجاهات فقد تكون إيجابية أو سلبية أو محايدة.

ـ تتكون القيم من ثلاث أبعاد هى المكون المعرفى والمكون الوجدانى والمكون الأدائى السلوكى الالتزامى، أما الاتجاهات فتتكون من بعدين رئيسيين هما المعرفى والانفعالى، أما المكون الأدائى فليس ملزمًا.

ـ ينبغى أن تنسجم قيم المرء مع ثقافة وقيم الجماعة التى ينتمى إليها وتعتبر عنصر توحيد معهم، أما الاتجاهات فلا تنسجم بالضرورة مع القيم السائدة فى مجتمعه أو ثقافة قومه.

(بلقيس، ١٩٨٦، ١٢ ـ ١٣).

الفرق بين القيم والعادات الاجتماعية:

العادة هى صفة أو صيغة مكتسبة فى السلوك كمهارة حركية أو نظرية أو طريقة فى العمل أو التفكير وهى تتكرر من خلال تصرف الفرد بطريقة آلية وبسرعة ودقة.

والعادة بمفردها تختلف عن العادات الاجتماعية فى أن الأخيرة يفرضها المجتمع أو يتوقع من الفرد أن يقوم بها أو يمارسها ولا تكون ممارستها إلا فى ظل الجماعة.

وهذا لا يعنى أن العادة الفردية ليس لها علاقة بالعادات الاجتماعية، بل هناك علاقة بينهما، والفرق بينهما هو أن العادات الاجتماعية لها صفة الشمول، وفيها نوع من الالتزام.

أما الفرق بين القيم والعادات الاجتماعية فيمكن تلخيصه فيما يلى:

ـ العادات الاجتماعية تصدر عن تفاعل الأفراد، ولكن ليس مصدرها الدين، فى حين أن الدين مصدر أساسى من مصادر القيم.

ـ العادات الاجتماعية أقل أهمية من القيم لأنها مرتبطة بأشياء ثانوية، أما القيم فترتبط بالغايات النهائية.

ـ العادات الاجتماعية ليس بالضرورة أن تكون محرمة، فبعض العادات الاجتماعية تتفق مع القيم ولا تناقضها.

الفرق بين القيم والمعايير:

المعيار هو قاعدة أو مستوى لعمل ما، وهناك رأيان فى علاقة القيم بالمعايير:

ـ **الرأى الأول:** هناك فرق بين القيم والمعايير فى ضوء عمومية وخصوصية الممارسة، فما يعد مرغوبًا فيه من أعضاء المجتمع ويحدد على أساس مقولات عامة يدخل فى نطاق القيم، وما يحدد فى ضوء مقولات خاصة تدخل فى نطاق المعايير، ومعنى ذلك أن كلا من القيم والمعايير بمثابة نموذجين مختلفين من الموجهات الرمزية للفعل، فالقيم تحدد التفضيلات الاجتماعية، والمعايير تحدد الالتزامات الاجتماعية، وعلى ذلك تكون القيم هى العنصر العام الذى يحقق الصلة بين الأنساق الاجتماعية والأنساق الثقافية، بينما تكون المعايير ذات طابع اجتماعى خالص له فعاليته فى الحكم علي العلمليات الاجتماعية فى مجالاتها المتعددة الأوجه.

ـ **الرأى الثانى:** يرى أن القيم والمعايير شيئًا واحداً ولا يمكن الفصل بينهما، والقيم تتضمن المعايير، ففى الحديث الشريف «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها

ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» متفق عليه، فالمال والحسب والجمال معايير، أما الدين فقيمة.

الفرق بين القيم والاهتمامات:

يرى البعض أن القيم والاهتمامات شيء واحد، وهو رأى ضعيف غير مأخوذ به وهناك رأى يرى أن الاهتمامات جزء من القيم.

وحجة أصحاب هذا القول هو أن القيمة تدل على اهتمام، لكنهم نسوا أن القيمة لا تكون قيمة إلا بثلاث مقومات: معرفى ووجدانى وسلوكى، أما الاهتمام فيمكن أن لا تتوفر فيه المقومات الثلاث كلها وفى وقت واحد، ومن أصحاب هذا الرأى «بيرى» الذى يرى أن القيم والاهتمامات شيء واحد، وأن القيمة تنبع من الاهتمام، أى أن القيمة تنشأ من وجود اهتمام بشيء معين.

والرأى الراجح أن الاهتمام ميل بسيط أو جاذبية يشعر بها الفرد نحو أشياء معينة، أما القيمة فتتصل بالتفضيلات، أى أن القيم أعم من الاهتمامات ومن أصحاب هذا الرأى «أيزنك».

وهناك من فرق بين القيم والاهتمامات من حيث الارتباط أو التخصص المعين، فالهندسة والطب مثلا قد تكون مثار اهتمام بعض الأشخاص ولكنها ليست قيما؛ لأن القيم أعم وأشمل.

وفرق البعض بين القيم والاهتمامات بأن الاهتمام مظهر من مظاهر القيمة فهو أضيق من القيمة، كما أن الاهتمام لا يسمى معياراً في حين أن القيمة قد تسمى معياراً.

ويمكن تلخيص الفرق بين القيم والاهتمامات ـ فى ضوء كل ما سبق ـ بأن القيم أعم وأشمل من الاهتمامات، كما أن القيم معايير ولكن الاهتمامات ليست معايير، وأن القيم ملزمة بعكس الاهتمامات، كما أن الاهتمام مظهر من مظاهر القيمة.

وظائف القيم فى حياة الفرد والمجتمع:

للقيم وظائف عديدة فى حياة الفرد والمجتمع يمكن إيجازها كما يلى:

بالنسبة للفرد:

تهيئ القيم للفرد خيارات معينة، فتكون لديه إمكانية الاختيار والاستجابة لموقف معين، فتلعب دوراً هامًا فى بناء شخصيته، كما أن القيم تعطى الفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه، لذلك فهى تجعله أقدر وأصبر على التكيف كذلك فإنها تحقق للفرد الإحساس بالأمان لأنها تقوية على مواجهة ضعف النفس، ومثال على ذلك بلال بن رباح الذى جعله الإسلام يسخر ممكن كانوا يسومونه سوء العذاب ويصدع بالآذان من فوق الكعبة يوم فتح مكة، والقيم تدفع الفرد لتحسين أفكاره ومعتقداته، وتساعده على فهم الآخرين من حوله، وتوسع إطاره المرجعى فى فهم علاقاته مع الآخرين، كما أنها تعمل على إصلاح الفرد اجتماعيًا وأخلاقيًا ونفسيًا وفكريًا وثقافيًا... إلخ، لأن القيم وسيلة علاجية ووقائية للفرد، كما أنها تعمل على ضبط نزوات الفرد وشهواته ومطامعه، وكل هذه الوظائف يكمل بعضها بعضًا وصولا إلى مرحلة الرضا «رضى الله عنهم ورضوا عنه»، أى رضا الله ورضا النفس.

بالنسبة للمجتمع:

تحافظ القيم على تماسك المجتمع، وتساعده على مواجهة التغيرات التى تحدث كما أنها تربط بين أجزاء الثقافة فى المجتمع لأنها هى التى تعطى النظم الاجتماعية أساسًا عقليًا، والقيم تحمى المجتمع من الأنانية والدونية الطائشة، وتزود المجتمع بالصيغة التى يتعامل بها مع المجتمعات الأخرى من حوله، كما أن القيم تجعل سلوك الجماعة عملا تبتغى به وجه الله تعالى.

والوظائف الفردية والمجتمعية تتكامل فيما بينها وتؤدى إلى مايلى:

أ- بناء الذات الإنسانية القادرة على التكيف الإيجابى مع ظروف الحياة لأداء دورها الحضارى المحدد.

ب - إعطاء المجتمع الشكل المميز الذى يميزه عن المجتمعات الأخرى.

ثانياً: القيم الإسلامية

مفهومها:

القيم الإسلامية هى القيم المستمدة من الدين الإسلامى الحنيف الذى يعتبر «الحسن» هو ما وافق شرع الله واستوجب الثواب فى الآخرة، ويعتبر «القبيح» هو ما خالف شرع الله ويترتب عليه العقاب فى الآخرة.

مجالاتها:

تشتمل القيم الإسلامية جميع مناشط الحياة، وجميع مناحى التفكير والاعتقاد، وجميع العلاقات التى تربط المسلم بخالقه وبغيره من البشر، بل وبالكون جميعًا.

ويمكن تصنيف أهم المجالات التى تشملها القيم الإسلامية إلى ما يلى:

١ ـ مجال العقيدة: فالمسلم مطالب بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومطالب بأن يقر بأن الدين عند الله الإسلام وأنه خاتم الأديان، وأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، أنزل الله عليه القرآن وحيًا، وهو المصدر الأساسى والأول للشريعة، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم المصدر الثانى ... إلخ، وكل أولئك قيم حاكمة على العبادات والمعاملات، يدين بها الفرد وينهض لها، وتحرص الجماعة على غرسها صحيحة فى نفوس أفرادها، وتتصدى لمن يهملها ويتهاون فيها، ولمن يشوهها وينحرف عنها.

٢ ـ مجال علاقة الفرد المسلم بغيره من البشر: إذ يجعل الإسلام حسن الخلق جزءا لا يتجزأ من التدين، ومن هنا تفسير دعوة الإسلام إلى الالتزام بقيم الآداب والتوافق السلوكى معها فيما جاء به الأمر من صدق القول والفعل فى السر والعلن، والأمانة والعفة والإخلاص وطهارة اليد واللسان وحسن الظن وإتقان العمل وصلة الأرحام وتوقير الكبار ورحمة الصغار ...إلخ، وفيما جاء به النهى عن أضداد هذه من قبيح الخصال والموبقات، ومن منظور البدائل ـ كمثال ـ نجح الإسلام فى تحديد

الدوائر العامة والخاصة للحديث كقيمة اجتماعية، فهو يجعل حرية القول قيمة إلا أن يكون فاحشًا وكذبًا أو غيبة أو نميمة... إلخ، ويجعل سفك الدماء عملا قبيحًا ومرفوضًا إلا أن يكون قصاصًا وعقوبة، ثم يدعو ولى القتيل إلى العفو ويعده أكبر قيمة من القصاص «وأن تعفو أقرب للتقوى».

٣ ـ مجال علاقة الإنسان بالكون: إذ يجعل الإسلام النظر فى ملكوت الله والتفكر فيه قيمة، يدعو إلى الحرص عليها بما يترتب فيه من إعلاء قيم العلم وكشف أسرار الله فى الأرض وفى السماء، وللإسلام قيم تتعلق بالتعامل مع الحيوان والنبات ومع الجماد لخير البشرية، ونصوص القرآن والحديث النبوى الشريف فى كل أولئك ماثلة شاهدة.

(المجلس القومى للتعليم، ١٩٩٣، ٢١٨ ـ ٢١٩)

خصائصها:

القيم الإسلامية تتميز بخصائص تميزها عن القيم فى المجتمعات غير الإسلامية، وهذه الخصائص مستمدة من خصائص هذا الدين العظيم، ومن هذه الخصائص:

١ ـ الربانية: فالقيم الإسلامية ربانية المصدر، بمعنى أنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله أساسًا، وكتاب الله هو من لدن حكيم خبير، وأما السنة النبوية فهى أيضًا مستمدة من عند الله على لسان رسوله «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى» أما المصادر الأخرى كالإجماع والاجتهاد والعرف فيجب أن تكون محكومة بالمصدرين الأساسيين ولا تناقضهما، وبالتالى فهى أيضًا يمكن اعتبارها قيما ربانية، بمعنى أنها مستمدة من شريعة الله ولا تناقضها.

ويتضح مما سبق أن كون القيم الإسلامية ربانية المصدر لا ينفى دور العقل فى الاجتهاد ضمن حدود شرعة الله، وبحيث يكون عمل الفكر البشرى أساسًا التلقى والإدراك والتكيف والتطبيق فى واقع الحياة. (قطب، ١٩٧٨، ٥١ ـ ٥٤).

٢ ـ الثبات: والثبات هنا لا يعنى الجمود، بل هو كما يقول سيد قطب: «خاصية الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت»، ويقول: «هناك ثبات فى مقومات التصور الإسلامى وقيمه الذاتية، فهى لا تتغير ولا تتطور حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية، فهذا التغير يظل محكوما بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور..ولا يتقضى هذا «تجميد» حركة الفكر والحياة، ولكنه يقتضى السماح لها بالحركة ـ بل دفعها دفعًا ـ ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت. (قطب، ١٩٧٨، ٨٥).

٣ ـ الشمول: فالقيم الإسلامية تتمثل فيها صفة الشمول من نواح عدة: فى شاملة لكل ما يصلح الفرد والمجتمع، وهى شاملة لجميع مناشط الحياة الإنسانية، وهى شاملة لكل العلاقات التى تربط المسلم بغيره سواء علاقته بربه أو بالمسلمين أو غير المسلمين أو علاقته بالحيوان والجماد وجميع مخلوقات الله كما أنها شاملة فى تلبيتها لحاجات النفس والعقل والوجدان والجسد «ما فرطنا فى الكتاب من شىء».

٤ ـ التوازن: فهناك التوازن والوسطية وعدم الإفراط أو التفريط، وهذا التوازن يظهر بمظاهر شتى: فهناك توازن بين الجانب الذى تتلقاه الكينونة الإنسانية لتدركه وتسلم به وبين الجانب الذى تتلقاه لدركه وتبحث حججه وبراهينه وتحاول معرفة علله وغاياته وتفكر فى مقتضياته العملية وتطبقها فى حياتها الواقعية، وهناك توازن بين متطلبات الفرد ومتطلبات الجماعة فلا يطغى جانب على آخر، وهناك توازن بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة «وكذلك جعلناكم أمة وسطا».

٥ ـ الإيجابية: فالقيم الإسلامية قيم إيجابية بكل ما تعنى هذه الكلمة، فهى إيجابية خيرة تؤدى بمن يعتنقها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وهى إيجابية فاعلة فى علاقة الله سبحانه بالكون والحياة والإنسان، وهى إيجابية فاعلة فى دور الإنسان ووظيفته فى هذا الكون.

٦ ـ الواقعية: فالقيم الإسلامية قيم واقعية تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقى المستيقن والأثر الواقعى الإيجابى، لا مع تصورات عقلية

مجردة، ولا مع مثاليات لا مقابل لها فى عالم الواقع، ولكن هذه الواقعية واقعية مثالية، أو مثالية واقعية، لأنها تهدف إلى أرفع مستوى وأكمل نموذج تملك البشرية أن تصعد إليه.

٧ ـ **قيامها على مبدأ التوحيد:** فقيمة التوحيد هى أساس القيم كلها، وكل قيمة تتعارض مع هذه القيمة هى قيمة مرفوضة إسلاميًا، ومن هذا المنطق لا يجوز لفرد أو جماعة أن يتعارفوا على قيم تتعارض وتوحيد الله، ومن هنا أيضًا كان لابد للإجماع فى الشريعة من ألا يناقض أى مبدأ من مبادئ الإسلام، ويجب أن يكون الإجماع محكومًا بكتاب الله وسنة رسوله ولا يناقضهما.

٨ ـ **الاستمرارية:** فالقيم الإسلامية قابلة للتطبيق فى كل زمان ومكان لأنها أولا مستمدة من شريعة الله الصالحة لكل زمان ومكان، كما أنها جاءت منسجمة مع الفطرة الإنسانية السليمة التى لا تتبدل بتبدل الأحوال والظروف.

٩ ـ **المرونة:** فهى قيم ليست جامدة ـ كما سبق أن تحدثنا فى البند الثانى ـ ولكنها مرنة ـ دون أن تبتعد عن شريعة أو تشت عنها ـ والمرونة هى التى تجعلها صالحة لكل زمان ومكان وفيها نوع من الاجتهاد وتجمع بين الإطلاق والنسبية، ولبيان كيفية المرونة نضرب مثالا بقيمة الإنفاق في سبيل الله، فهذه قيمة ثابتة ومستمرة لا تتغير ولا تتبدل ولكن تطبيقها فيه مرونة بحسب الظروف، فقد يكون الإنفاق بالنقود أو الملابس أو الحيوانات أو بناء مؤسسات خيرية ... إلخ.

١٠ ـ **عدم تعارضها مع العلم:** فهى قيم صائبة وصحيحة لأنها من لدن عليم خبير، ولا يمكن أن تصطدم بقاعدة علمية صحيحة.

١١ ـ **التسامح والحرية:** فهى قيم قائمة على التسامح وحرية الاختيار والاقتناع «لا إكراه فى الدين».

مصادرها: مصادر القيم الإسلامية هى:

١ ـ **القرآن الكريم:** القرآن الكريم هو أساس الشريعة الإسلامية وأصل سائر أدلتها قال تعالى: «ما فرطنا فى الكتاب من شىء» أى ما تركنا فى القرآن شيئًا مما يحتاج إليه الناس فى أمر الدين والدنيا مفصلا أو مجملا، وقال: «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» وإلى القرآن تستند باقى الأدلة فى حجيتها من السنة والإجماع والقياس وغيره. (القرنشاوى، ١٩٦٣، ٥٢).

٢ ـ **السنة:** وهى «ما صدر من النبى ﷺ من أقوال لم يقصد بها الإعجاز وأفعال غير جبلية وتقريرات». وقد أجمع المسلمون على أن السنة حجة فى الدين ودليل من أدلة الأحكام الشرعية، وبالتالى فهى تعتبر مصدراً من مصادر القيم الإسلامية. (القرنشاوى، ١٩٦٣، ٥٩ ـ ٦١).

٣ ـ **الإجماع:** وهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ على حكم شرعى فى عصر غير عصر الرسول، والمراد من الاتفاق: الاشتراك فى الاعتقاد أو القول أو الفعل أو ما فى معناهما من التقرير، والسكوت (عند من يرى أن ذلك كاف فى الإجماع).

والإجماع إما أن يكون قطعى الدلالة على الحكم أو ظنى الدلالة، فإن كان قطعى الدلالة على الحكم وهو الإجماع الصريح ـ فلا سبيل إلى مخالفته ولا مجال للاجتهاد فى مسألة تم فيها ذلك الإجماع لأنها صارت قانونًا شرعيًا واجب الاتباع والعمل بمقتضاه، أما ما كان ظنى الدلالة ـ وهو الإجماع السكوتى ـ فإنه لا يخرج الواقعة عن أن تكون محلا للاجتهاد لأنه لا يخرج عن كونه رأى جماعة من المجتهدين لا جميعهم. (القرنشاوى، ١٩٦٣، ١٨٦ ـ ١٩٨).

٤ ـ **القياس:** ويعرف اصطلاحًا بأنه «مساواة محل لآخر فى علة حكم له شرعى، لا تدرك من نصه بمجرد فهم اللغة». (القرنشاوى، ١٩٦٣، ١٩٩).

ولا خلاف بين جمهور الفقهاء أن القياس أصل من أصول التشريع ودليل من الأدلة الشرعية التى يرجع إليها فى معرفة الأحكام الشرعية العملية وللقياس أربعة أركان هى:

أ ـ الأصل الذى ثبت الحكم فيه بالنص أو الإجماع، ويسمى: المقيس عليه.

ب ـ حكم الأصل : وهو الحكم الشرعى الذى ثبت فى الأصل نصًا أو إجماعًا ويراد تعديته إلى محل آخر.

جـ ـ الفرع: وهو المحل الذى لم ينص على حكمه ويراد تعدية حكم فى الأصل إليه.

د ـ العلة: وهى الوصف الجامع الذى من أجله شرع الحكم فى الأصل.

أما حكم الفرع فليس ركنًا فى القياس لأنه نتيجة وثمرة له، ونتيجة الشىء وثمرته لا تكون جزءًا منه. (القرنشاوى، ١٩٦٣، ١٩٩ ـ ٢١٢).

٥ ـ **العرف:** ويقصد به عند الأصوليين والفقهاء:« ما استقر فى النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول» فكل ما اعتاده وألفه أهل العقول الرشيدة والطبع السليمة من قول أو فعل تكرر مرة بعد أخرى حتى تمكن أثره من نفوسهم واطمأنت إليه طباعهم فهو عرف فى الاصطلاح.

وحجية العرف على خمسة أقسام:

أ ـ إذا اتفق مقتضى العرف مع الحكم الشرعى الثابت بدليل آخر غير العرف وجب العمل بهذا الدليل أمراً كان أو نهيًا، ولا نظر للعرف حينئذ، استمر العرف أو تبدل.

ب ـ إذا ثبت بالنص أحكام مطلقة عن البيان والتفصيل يمكن تطبيقها مهما اختلفت الظروف وتبدلت الأحوال، فيجوز استناد الفقهاء فى تفصيلها إلى العرف.

جـ ـ أجاز بعض العلماء العدول عن العرف السابق للعرف اللاحق لتبدل الأحوال ولتبدل الظروف.

د ـ العرف القولى لقوم يخصص العام الواقع فى تخاطبهم بالإجماع كأن يتعارفوا على إطلاق لفظ الدابة على الحمار خاصة.

هـ ـ إذا ورد دليل شرعى عام وعارضه العرف فى بعض أفراده، فإن كان العرف عامًا صح تخصيص الدليل الشرعى به عند الحنفية، أما إذا كان العرف خاصًا فلا يجوز التخصيص به.

الفرق بين القيم الإسلامية والقيم الروحية:

شاعت كلمة «القيم الروحية» على ألسنة الكتاب والخطباء فى الأيام الأخيرة، وهى كلمة جدت فى الأدب العربى الحديث ولم نقرأها فى أساليب الأولين، ولم نشعر عندما سمعناها لأول مرة بإنكار لمدلولها المتبادر إلى الأذهان، إذ كانت فيما فهمنا تعنى التسامى بالنفس والعناية بالخلق والإعراض عن التفكير المادى ورفض وجهته فى السلوك الخاص والعام وتلك جميعًا معان مأنوسة مستلطفة نقبلها نحن المسلمين ونراها بعض تراثنا الدينى.

لكن الكلمة تكررت فى مواطن شتى، وأحاطت بها ملابسات مقصورة بل يمكن القول بأنها أضحت مصطلحًا سياسيًا له مفهومه وغايته عندما عندما يطلق هنا هناك.

والظاهر أن هذه الكلمة، كلمة القيم الروحية تعنى مجموعة الأديان الأرضية والسماوية التى تعتنقها جماعة كثيفة من البشر، وتصبغ وجهتها فى الحياة بطابع غيبى بارز، وضروب من العبارات مقررة وأنماط من السلوك يستمسك بها الأتباع ولا يحيدون عنها أبداً، أى أن هذه القيم تشمل البوذية والهندوكية واليهودية والمسيحية والإسلام، وكل ما يتقرر فى هذا الميدان التقليدى المأثور، ميدان الدين والمتدينين ومن إليهم.

والقيم الروحية بهذا المفهوم مرفوضة إسلاميًا، ولا تمت للقيم الإسلامية بصلة، وحتى استخدام هذا المصطلح «القيم الروحية» بمعناه الأول المتبادر إلى الذهن ـ كما

أسلفنا ـ مرفوض أيضًا لأننا لسنا بحاجة إلى تغيير مصطلحاتنا لكى يرضى عنا الآخرون، فالقيم الإسلامية مستمدة من الإسلام الذى سمانا به الله سبحانه وتعالى «هو سماكم المسلمين من قبل» فلماذا نرفض اسمًا سمانا به الله سبحانه وتعالى. (الغزالى، ١٩٧٩، ٨٣ ـ ٨٦).

ثالثًا: القيم التربوية

العلاقة بين القيم والتربية:

القيم هى التى توجه العملية التربوية كاملة، وهى فى نفس الوقت بحاجة إلى وسائل وأساليب ومعلمين ونظام، أى أنها فى حاجة للتربية، فالعلاقة إذن بين القيم والتربية علاقة تبادلية، فبدون تربية يصعب غرس القيم وتنميتها، وبدون القيم تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة.

والتربية التى نقصدها هنا تشمل التربية فى البيت وفى المدرسة وفى المؤسسات الأخرى، وتشمل التربية النظامية وغير النظامية واللانظامية.

وتبدأ عملية زرع القيم وتنميتها لدي الفرد منذ أيام حياته الأولى وهو طفل بواسطة الأسرة، ولا تنتهي إلا بانتهاء حياته على وجه هذه البسيطة.

أهمية غرس القيم فى عالم متغير:

تحدثنا فيما مضى عن أهمية القيم فى حياة الفرد والمجتمع بصورة عامة، ولكن تزداد أهمية هذه القيم وضرورة غرسها والعناية بها فى عالم اليوم المتغير المتقلب الذى بدأ يتنكر للقيم ويحارب الفضيلة، وتتضح هذه الأهمية للأسباب التالية:

١ ـ اتسام المجتمعات عامة ومنها الشعوب العربية والإسلامية حاليًا، باهتزاز القيم واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية، وكثرة حالات الخروج على تعاليم الدين والقانون، مما أصبح يثير الخوف من تهديد أمن البلاد واستقرارها الاجتماعى

مما يدعو إلى ضرورة بناء شخصية الإنسان على الدين، وإلى تعميق العقيدة والشريعة في نفوس أبناء جيل الغد، على وجه يهيىء لهم الانتفاع مما شرعه الله لعباده، ويعصمهم من الزلل، ويحميهم من التعصب، ويبعدهم عن الانحراف وعن التأثر بالأفكار المسمومة.

٢ ـ الواقع الراهن الذي يتميز بالتطور التقني والانفجار المعرفي، وكل منهما يلاحق الآخر بصورة مذهلة، ويفرض الانبهار به والتجاوب معه والتعامل مع متطلباته، ولهذا التطور والتنامي سلوكيات يضبط حركة الحياة، ويخشى مع مرور الوقت وقوعنا في التبعية المعرفية والثقافية المصاحب، مما يتهدد الانتماء إلى أمتنا الإسلامية.

٣ ـ الميل المتنامي لدى أفراد المجتمع إلى عدم المبالاة بالحماقات التي يقترفها بعض أفراده وجماعاته، إضافة إلى ظهور التيارات المعاكسة للتدين، وتسرب القدوة الصالحة من أكثر من موقع، مما هيأ الساحة لأعداء وخصوم سعوا في تفتيت الوحدة السلوكية وتوسيع الفجوة بين الأجيال وإلى تكريس العلمانية.

٤ ـ ورود بعض السلوكيات التي لا تتفق وقيمنا الفاضلة من خلال أجهزة الإعلام والثقافة ووسائل الاتصال باسم الفن، وباسم الاطلاع على واقع العالم المتقدم، وباسم اللحاق بركب الحضارة وكثير جداً من إنتاج هذه الأجهزة وأعمالها يدخل بيوتنا ويقتحمها دون استئذان، ويفسد إلحاحه وتكراره وعلينا تديننا، إذ يصبح بمرور الوقت مألوفًا ومعتاداً، ومن ثم تترسخ آثاره في نفوس الكبار وتتزلزل القيم الدينية، ومنهم مباشرة تمتد الآثار إلى الصغار، والصغار يصبحون كباراً وتصغر في أعينهم قيم الدين بالاعتياد.

٥ ـ انشغال الناس حاليًا بهموم العيش والرزق، حيث لم تعد الدخول كافية لمواجهة احتياجات المعيشة، وساعدت السلوكيات المعاصرة على شيوع الرغبة في الاستزادة من الدخول ولم تعد الأسرة ـ لعدة أسباب ـ قادرة على القيام بالأعباء المتزايده يوما بعد يوم، مما أدى إلى ضعف القدرة على رعاية الأولاد ـ إما عن قصور أو عن تقصير.

٦ ـ تفضيل كثير من الأمهات فى المدن وغيرها الخروج إلى الشارع وإلى ميادين العمل، وأكثرها غير منتج، مما أسهم فى الانصراف عن الاهتمام بالصغار، وتفضيل دفعهم إلى دور الحضانة وبيوت الجيران وغيرهم، فأصبح البيت على هامش التربية.

٧ ـ ضعف دور المدرسة والمؤسسات التعليمية عامة فى غرس القيم لدى التلاميذ وصار اهتمام المعلمين منصبًا على تلقين المعارف وعلى الخلاص من المقررات فى أقرب وقت (المجلس القومى للتعليم، ١٩٩٣، ٢١٤ ـ ٢١٦).

كل هذه الأمور مجتمعة وغيرها تؤكد ضرورة إعادة النظر فى القيم الإسلامية وضرورة تضافر كل الجهود للعناية بها وغرسها فى نفوس أبنائنا لمواجهة هذه التحديات التى يتعرضون لها.

غرس القيم لدى طفل ما قبل المدرسة:

لابد من غرس القيم المرغوبة فى الطفل منذ بداية حياته ومنذ نعومة أظفاره، ومن الخطأ الفادح تخلى الأسرة عن هذا الدور وتعتبره فقط من مسئوليات المدرسة، أو أن تعتبر الطفل قبل سن المدرسة غير قادر على تعلم القيم وتمثلها ومراعاتها، ويمكن غرس القيم لدى أطفال ما قبل المدرسة بعدة طرق مجتمعة وهى:

١ ـ إشباع حاجات الطفل البيولوجية وبطريقة سليمة: فإذا لم تشبع هذه الحاجات يحدث لدى الطفل اضطرابات جسمية ونفسية وعقلية، ويصبح من الصعب غرس القيم المرغوبة لديه، ويجب أن يصاحب غرس القيم عملية إشباع هذه الحاجات، فحين تقوم الأم بإرضاع طفلها مثلا مع اقتران ذلك بالحنان والرعاية وعدم العصبية والمداعبة، فإنها لا ترضعه لبنًا فحسب بل تغذيه بحنانها وتسكب فى شخصيته أمنا نفسيًا وحبًا لها وتعلقًا بالحياة فيما يجعله فيما بعد يتبنى قيم الرحمة والعطف والحنان وحب الخير للآخرين.

٢ ـ التنشئة الاجتماعية: من خلال السلطة الوالدية «خاصة من جانب الأم فى الطفولة الأولى» فلسبب حاجة الطفل لأمه ولخدماتها له وحنوها عليه وإعجابه بها

وحبه لها، دور فى تقمصه لشخصيتها، فهو يحول نفسه موضوعًا يصدر إليه أوامر والديه، ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال أن يمسك الطفل بدميته فيأمرها ألا تكشف عن ساقيها وأن تكون مؤدبة، وأن تأمر الصغيرة دميتها أن تنام فى الوقت المحدد.

٣ ـ استخدام المثوبات والعقوبات المادية والمعنوية: وهذه الجزاءات إما مادية بدنية، أو نفسيه، أو اقتصادية، ومن أمثلة ذلك أن تقول الأم لأبنها المشاكس تحذره: كن مؤدبًا وإلا ضربتك، أو إذا لم تكف عن سوء السلوك فسأحرمك مصروفك ويمكن أن يكون الجزاء نفسيًا كالتوبيخ إذا كان عقابًا، والمدح والثناء إذا كان ثوابًا.

الطرق المناسبة لتطوير القيم لدى الأطفال فى البيت والمدرسة:

يمكن تصنيف الطرق المناسبة لتطوير القيم فى الفئات التالية:

[١] الطرق التقليدية أو المألوفة: وتشمل

أ ـ الوعظ المباشر والإقناع والتلقين. ب ـ القدوة.

جـ ـ الثواب والعقاب د ـ استخدام القوانين والأنظمة.

هذه الطرائق ما زالت مفيدة إذ يمكن استخدامها لنقل المعتقدات الصالحة من جيل إلى جيل، ومن فرد إلى فرد، كما أنها تصلح لأن تكون معايير مناسبة لقياس مدى الانسجام بين ممارسات الناس ومتطلبات القيم المرغوبة.

غير أن أثر هذه الطرائق قد أصبح في العصر الحديث محدوداً أو عرضيًا أو مؤقتًا أو قصير الأجل، ويعود ذلك إلى أسباب خارجية وأسباب داخلية:

ـ فأما الأسباب الخارجية فتتمثل فى انتشار وسائل التواصل وظهور المدرسة الموازية والتربية اللانظامية اللذين يؤثران فى الفرد والمجتمع.

ـ وأما الأسباب الداخلية فهى صادرة عن طبيعة الطرائق نفسها.

أ ـ ففى حالة الوعظ المباشر فإن القيم التي يتعلمها الناس لا تصدر من اختيار

الناس أنفسهم إنما تفرض عليهم فرضًا، وحين تزول السلطة فإن القيم نفسها قد تتعرض للانهيار.

هذا بالإضافة إلى أن الوعظ المباشر قد يكون لفظًا دون ممارسة عملية، كما أن الجو النقدى الذى يرافق الوعظ قد يكون فى العادة قاسيًا.

ب ـ وفى القدوة يمكن أن يلاحظ الأطفال أن ممارسات أولياء أمورهم الذين اتخذوا منهم نماذج صالحة للمحاكاة قد تختلف عن عظاتهم وأنهم ذوو وجهين، كما أن أولياء الأمور ليسوا النماذج الوحيدة التى يمكن للأطفال أن يقتدوا بها، فهناك الأخوة والأخوات والأتراب والرفاق والزملاء وما يعرض فى التلفاز وغيره.

جـ ـ وأما الثواب والعقاب والوعد والوعيد فإنها طرائق تشكل دوافع خارجية، وقد تكون عرضية أو قصيرة الأجل أو مرتبطة بدوام السلطة، ومثل ذلك القوانين والأنظمة.

[٢] الاحتكام للقرآن الكريم والسنة النبوية: للدين الإسلامى أثره الفعال فى غرس القيم الصالحة وترسيخها وتطويرها، لأنه يتناول ـ بالإضافة إلى الجوانب الروحية ـ السلوك والدستور والتشريع والمعاملة وطرق الحياة بكاملها، وإيماننا بديننا يدفعنا إلى اكتساب القيم المستوحاة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، وإلى اعتمادها معيارا للحكم بواسطتها على أقوالنا وأفعالنا ومن المحبذ الإفادة من القيم الإسلامية بحيث تكون مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بموقف الحياة العادية ومتطلباتها.

[٣] ممارسة الخبرات التى تؤدى إلى إكساب القيم: يتعلم الطفل فى مرحلتى الطفولة المبكرة والدراسة الإلزامية، القيم الصالحة من خلال الخبرات التى تنظم أو تهيأ له بصورة مستمرة من أجل مساعدته على اكتسابها، فالقيم هنا مثلها كمثل المفاهيم تشتق وتستخلص من الخبرات ذات العلاقة، ويكتشف الطفل القيم ويكتسبها بممارستها أو ممارسة أعمال تتسق معها أو تمهد لاكتسابها، وينطبق هذا القول على جميع القيم، فمن الممكن تنظيم خبرات للأطفال تساهم فى تنشئة الصدق

والإتقان والأمانة، كما يمكن تنظيم خبرات تساعد على غرس الجذور الأولى لقيم أكثر تعقيداً أو تجريداً كالتعلم الدائم والتفكير الاستقرائى، ويتوقف هذا كله على نوعية الخبرات التى تنظم ومدى مناسبتها للمراحل النمائية المختلفة.

[٤] **الاختيار العقلانى للقيم الصالحة:** وذلك بعد النظر فى الأبدال الممكنة مع الاعتزاز بالقيمة وممارستها، ويمكن تلخيص هذه الطريقة على النحو التالى:

أ ـ استكشاف الأبدال الممكنة أو التعرض لها.

ب ـ التفكير فى عواقب كل بديل.

جـ ـ الاختيار الحر لأخذ الأبدال الذى يشكل بنفسه قيمة صالحة.

د ـ الاعتزاز بالقيمة والتمسك بها.

هـ ـ إعلان هذا الاختيار وهذا التمسك على الملأ.

و ـ ترجمة القيمة إلى ممارسة.

ز ـ تكرار الممارسة باعتباها نمطا من أنماط الحياة.

ومن ميزات هذه الطريقة أن القيمة التى تكون صادرة من تفكير الفرد واختياره وأنها أشد استجابة للتعلم والتقييم وأنها أكثر قابلية للدوام على مر الزمن.

ومن الواضح أن استخدام هذه الطريقة فى ملحة يزداد اتساعًا وعمقًا بعد نمو قدرة الطفل على النظر فى آثار الأبدال وبعد أن يكتسب الطفل القدرة على التفكير التجريدى.

الطرق التى اتبعها الإسلام فى تعليم القيم:

لقد استخدم الرسول ﷺ بأقواله وأفعاله وبالقرآن الذى يتلوه ويعلمه للمسلمين طرقًا متعددة فى تعليم القيم الإسلامية للمسلمين وغرسها فيهم وتنميتها ورعايتها ولم يستخدم طريقة بعينها فى جميع المواقف، بل كان يختار لكل موقف الطريقة

التى تناسبه وكان أحيانا يستخدم أكثر من طريقة فى الموقف الواحد بحسب مقتضيات هذا الموقف.

وإذا أردنا أن نقتفى آثار الرسول الكريم فى تربيته للمسلمين على القيم الفاضلة وجب علينا أن لا نقتصر على طريقة واحدة، كما يجب علينا أن نختار لكل موقف الطريقة التى تناسبه.

وأهم الطرق الإسلامية التى يمكن اتباعها فى تعليم القيم:

١ ـ بالقدوة: والدليل على فائدتها أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يقتدوا برسول الله ﷺ «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة»، وقد طلب الرسول ﷺ من المسلمين أن يقتدوا به «صلوا كما رأيتمونى أصلى» و« خذوا عنى مناسككم»، والفطرة السليمة ترى أن القدوة الصالحة من خير وسائل التربية وغرس القيم السليمة، كما أن القدوة السيئة لها تأثير سلبى على المتعلم وعلى الطفل، فالولد الذى يرى والده يكذب لايمكن أن يتعلم الصدق، والولد الذى يرى أمه تغش أباه أو أخاه أو هو نفسه لايمكن أن يتعلم الأمانة، والولد الذى يرى أمه مستهترة لايمكن أن يتعلم الفضيلة (قطب، ١٩٨١، ١٨٦).

ومن هنا كان تقريع شاعرنا العربى أبو الأسود الدؤلى أليمًا فى المعلم الذى يخالف فعله قوله:

يا أيها الرجل المعلِّم غيره ... هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذى السقام وذى الضَّنى ... كيما يصحُّ به وأنت سقيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنهُ فأنت حكيمُ
فهناك يُقبَل ما وعظتَ ويُقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم

ومن ثم يجب أن تكون الأسرة نظيفة مسلمة ملتزمة حتى يقتدى الأطفال

بوالديهم كما ينبغى أن تكون سيرة الرسول جزءاً دائمًا من منهج التربية سواء فى المنزل أو المدرسة أو الصحيفة أو المذياع لتكون القدوة دائمة وحية وشاخصة في المشاعر والأفكار.

٢ ـ **بالموعظة:** ففى النفس استعداد للتأثر بما يلقى إليها من الكلام، وهو استعداد مؤقت فى الغالب، ولذلك يلزمه التكرار، كما يلزم تدعيم الموعظة بوسائل أخرى كالقدوة وتوفير الوسط المناسب الذى يسمح بتقليد القدوة، والقرآن الكريم ملىء بالمواعظ والتوجيهات كقوله تعالى: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»، وقوله تعالى: «إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»، وقوله تعالى: «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين».

وقد تعددت الأساليب التى استخدمها الرسول ﷺ فى إلقاء الموعظة وطريقة عرضها ومن ذلك:

(أ) انتهاج أسلوب الحوار والاستجواب، وذلك بطرح الأسئلة على أصحابه ليثير انتباههم ويحرك ذكاءهم ويقدح فطنتهم ويسقيهم المواعظ المؤثرة فى قالب الإقناع والمحاجاة، ومن ذلك ما رواه مسلم عن الرسول ﷺ لأصحابه: « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا: لا يبقى منه درنه شىء، قال: ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا».

(ب) بدء الموعظة بالقسم وذلك لتنبيه السامع على أهمية المقسم عليه، روى مسلم فى صحيحه: « والذى نفس محمد بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا.. أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

(جـ) دمج الموعظة بالمداعبة، وذلك لتحريك الذهن وإذهاب الملل وتشويق النفس، ومن ذلك ما رواه الترمذى أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «إنى حاملك على ولد الناقة» فقال الرجل: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال: وهل تلد الإبل إلا النوق؟

(د) الاقتصاد بالموعظة مخافة السآمة: روى أبو داود عن جابر بن سمرة قال: «كان رسول الله ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هى كلمات يسيرات».

(هـ) الهيمنة بالتأثير الوعظى على الحاضرين، وهذا لا يتأتى إلا أن يكون الواعظ مخلص النية، رقيق القلب، خاشع النفس، طاهر السريرة. روى الترمذى عن العرباض بن سارية أنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة مَضَّت (احترقت) منها الجلود، وذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب..».

(و) الموعظة بضرب المثل، روى النسائى عن الرسول ﷺ قوله: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ..».

(ز) الموعظة بالتمثيل باليد كقوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه. (متفق عليه).

(حـ) الموعظة بالرسم والإيضاح، روى الإمام أحمد فى مسنده عن جابر رضى الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبى ﷺ فخطَّ بيده فى الأرض خطًا فقال: «هذا سبيل الله» وخط خطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال: «هذه سبل الشيطان»، ثم وضع يده فى الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية: «وأن هذا صراطى مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله..».

(ط) الموعظة بالفعل التطبيقى : روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ توضأ أمام جمع من الناس ثم قال: «من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدِّث فيها نفسه بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه».

(ي) الموعظة بانتهاز المناسبة: ومثال على ذلك حين رأى رسول الله ﷺ امرأة من السبى تبحث عن ولدها حتى وجدته وأرضعته، فقال ﷺ «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟ قالوا: لا والله، قال: فالله أرحم بعباده من هذه بولدها».

٣ ـ بالعقوبة: حين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة فلابد من علاج حاسم يضع الأمور فى وضعها الصحيح، والعلاج الحاسم هو العقوبة، والعقوبة ليست ضرورية

لكل شخص وليست أول خاطر يخطر على قلب المربى ولا أقرب سبيل «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»، ولكن الواقع المشهود أن هناك أناسًا لا يصلح لهم الوعظ والمعاملة الحسنة أو يزدادون انحرافًا كلما زيد لهم فى الوعظ والإرشاد، وليس من الحكمة أن نتجاهل وجود هؤلاء أو نتصنع الرقة الزائدة فنستنكر الشدة عليهم، وقد استخدم القرآن الكريم التهديد والوعيد مرات عديدة، كقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله» وقوله تعالى:« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما برحمة فى دين الله» وقوله تعالى «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله».

٤ ـ **بالقصة:** ففى القصة سحر يسحر النفوس، وقارئ القصة أو سامعها لا يملك أن يقف موقفًا سلبيًا من شخوصها وحوادثها، فهو على وعى منه أو غير وعى يدس نفسه على مسرح الحوادث، ويتخيل أنه كان فى هذا الموقف أو ذاك، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة، فيوافق أو يستنكر أو يملكه الإعجاب، والإسلام يدرك هذا الميل الفطرى للقصة ويدرك مالها من تأثير ساحر على القلوب فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم، وهو يستخدم كل أنواع القصة فى هذا المضمار:

* يستخدم القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، ومثال على ذلك كل قصص الأنبياء، وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من جراء هذا التكذيب، كقصة موسى وفرعون، وعيسى وبنى إسرائيل، وشعيب ومدين، ونوح وقومه.

* ويستخدم القصة التمثيلية التى تعرض نموذجًا لحالة بشرية كقصة ابنى آدم.

* ويستخدم القصة التمثيلية التى لا تمثل واقعة بذاتها ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة من اللحظات وفى أى عصر من العصور مثل قصة صاحب الجنتين «واضرب لهم مثلاً رجلين..».

٥ ـ بالعادة: العادة تؤدى مهمة خطيرة فى حياة البشرية، فهى توفر قسطًا كبيراً من الجهد البشرى بتحويله إلى عادة سهلة ميسرة لينطلق هذا الجهد فى ميادين جديدة من العمل والإنتاج والإبداع.

وقد بدأ الإسلام بإزالة العادات السيئة التى وجدها سائدة فى البيئة العربية، واتخذ لذلك إحدى وسيلتين: إما القطع الحاسم الفاصل، وإما التدرج البطئ حسب نوع العادة التى يعالجها وطريقة تمكنها من النفس.

أما بذر العادات الصالحة فالإسلام كذلك عدة طرق وعدة مراحل، فأما الإيمان بعد الكفر فقد كان يستخدم لهم الهزة الوجدانية المحيية الموحية التى تنقل النفس فجأة من تصور إلى تصور ومن شعور إلى شعور، ثم لا يدعها تبرد بل يحولها فى الحال إلى عادة، والمنهج الإسلامى فى الإصلاح والتربية على القيم الفاضلة يراعى المرحلة العمرية للشخص الذى يتلقى التربية، فالكبار لهم أسلوب يختلف عن الأسلوب الذى يتعامل مع الصغار، أما منهج الإسلام فى إصلاح الكبار فيقوم على أسس ثلاثة لها أكبر الأثر فى تعديل الأخلاق وتقويم الاعوجاج:

* **الربط بالعقيدة:** حيث يتولد عن الكبير الشعور بالمراقبة والخشية من الله فى السر والعلن، وهذا ما يقوى فى نفسه الإرادة الذاتية ليكف عن المحرمات، ويتحلى بأكرم الأخلاق وأنبل الصفات.

* **تعرية المنكر والشر:** مما يؤدى إلى أن يقتنع الكبير بترك المفاسد، ويعزم كل العزم على التخلى عن الرذائل.. بل يكون عنده الطمأنينه النفسية والقلبية لهجر كل ما هو آثم وفاجر.

* **تغيير البيئة الاجتماعية:** حيث يتهيأ لإصلاح الكبير الوسط الخير والجو الصالح وحياة الشرف والكارمة.. بل تنصلح مع الأيام أحواله، وتزدان مع الزمن أفعاله وأخلاقه.

وأما منهج الإسلام فى إصلاح الصغار فيعتمد على شيئين أساسين هما التلقين والتعويد، المقصود بالتلقين الجانب النظرى فى الإصلاح والتربية، ويقصد بالتعويد الجانب العملى فى التكوين والإعداد.

٦ ـ بالملاحظة: ويقصد بذلك ملاحقة الولد وملازمته فى التكوين العقيدى والأخلاقى، ومراقبته وملاحظته فى الإعداد النفسى والاجتماعى، والسؤال المستمر عن وضعه وحاله.

وقد حض الإسلام المربين جميعًا بما فيهم الآباء إلى أن يهتموا بمراقبة أولادهم والعمل على إصلاحهم. ومن ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن عمر بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال: كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ (أى تحت نظره) وكانت يدى تطيش فى الصحفة (فى وعاء الطعام) فقال لى رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل ما يليك».

وتشمل الملاحظ عدة جوانب ومجالات نذكر منها:

ـ أن يلاحظ المربى ما يتلقنه الولد من مبادئ وأفكار ومعتقدات على يد من يشرفون على توجيهه وتعليمه فى المدرسة أو غير المدرسة، فإن وجد خيراً فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فليقم بمهمته الكبيرة فى غرس المبادئ السليمة.

ـ وأن يلاحظ المربى ما يطالعه الولد من كتب ومجلات ونشرات فإن وجد فيها ما ينافى الفضيلة والأخلاق الحميدة فليقم بمهمة المصادرة ثم إقناع الولد أن هذه الكتب وغيرها تفسد عليه دينه وأخلاقه.

ـ وأن يلاحظ من يصاحب الولد من رفقاء وقرناء فإن وجد أن الرفقة التى يصاحبها فاسدة فعلى المربى أن يقطع الصلة بينه وبينهم وأن يهيىء له من رفقاء الخير وخلاء التقوى.

ـ وأن يلاحظ ما ينتمى إليه من أحزاب ومنظمات، فإن وجدها إلحادية أو مفسدة فعلى المربى أن يحزم فى منعه وأن يكثر من مراقبته وأن ينتهز الفرصة فى إقناعة وتوجيهه .

٧ ـ بتفريغ الطاقة: من وسائل الإسلام فى تربية الإنسان وفى علاجه كذلك تفريغ الشحنات المتجمعة فى نفسه وجسمه أولاً بأول، وعدم اختزانها إلا ريثما تتجمع للانطلاق. ومن أمثلة ما يلجأ إليه الإسلام من تفريغ طاقة الكره فى كره

الشيطان والشر الذى ينشئه وأتباعه فى الأرض، وكذلك تفريغ طاقة الحب فى حب الله والكون والناس والأحياء والخير بوجه عام.

٨ ـ بملء الفراغ: فالفراغ مفسد للنفس إفساد الطاقة المختزنة بلا ضرورة، وأول مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية لملء الفراغ ثم التعود على العادات الضارة التى يقوم بها الإنسان لملء فراغه، والإسلام حريص على «شغل» الإنسان شغلاً كاملاً منذ يقظته إلى منامه بحيث لا يجد الفراغ الذى يشكو منه ويحتاج فى ملئه إلى تبديد الطاقة أو الانحراف بها عن منهجها الأصيل، وليس معنى ذلك استنفاذ المخلوق البشرى واستهلاكه وإجهاده فهناك ذكر الله فى القلوب، وغفوة الظهيرة فى الهاجرة، والسمر البرىء مع الأهل والأصحاب، والتزاور... إلخ، ولكن المهم ألا يوجد فى حياة الإنسان فراغ لا يشغله شىء، أو فراغ يشغله الشر والفساد والتفاهة، وحين ألغى الإسلام عادات الجاهلية وأعيادها ومواسمها وطرائق حياتها، لم يترك ذلك فراغًا يتحير المسلمون فى ملئه، أو يملأونه دون شعور منهم فيما لا يفيد، بل جعل لهم فى الحال عادات أخرى وأعياداً ومواسم وطرائق حياة تملأ الفراغ.

٩ ـ بالأحداث: أى استغلال الحوادث التى تقع ـ وهى ساخنة ـ للتوجيه والتربية وغرس الفضائل والتنفير من الرذائل، ولقد قام القرآن الكريم ـ وهو يربى الأمة الإسلامية فى منشئها ـ باستغلال الأحداث فى تربية النفوس استغلالاً عجيباً عميق الأثر، ففى العهد المكى كان استغلال اضطهاد الكفار للمسلمين وتعذيبهم لتدريب المسلمين على الصبر على الأذى واحتمال المكروه، أما فى العهد المدنى فكان التوجيه إلى رد العدوان ومجابهة المعتدين بالقوة ورفض الخضوع والمذلة.

توصيات الدراسة:

فى ضوء ما استعرضناه فإن الدراسة توصى بما يلى:

* الاهتمام بغرس القيم الإسلامية منذ نعومة أظفاره، وعدم الانتظار حتى الكبر.
* إشباع حاجات الطفل البيولوجية بطريقة سليمة حتى يسهل غرس القيم المرغوبة لديه، فعدم إشباع هذه الحاجات يعرقل استعداده التعلم القيم.

* استخدام أكثر من طريقة أو أسلوب فى تعليم الأطفال القيم وعدم الاقتصار على طريقة واحدة، بحيث تتناسب الطريقة مع طبيعة الطفل وطبيعة الموقف.

* الاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى غرس القيم الصالحة وترسيخها وتطويرها لدى أطفالنا وتلاميذنا.

* التأكد من ممارسة الطفل أو التلميذ للقيم التى يتعلمها وعدم الاقتصار على الجانب النظرى فقط، بل يجب المزج بين النظرية والتطبيق.

* الاهتمام بأن يكون المربى قدوة صالحة للتلميذ أو الطفل فى كل ما يقوله ويفعله، وفى تطبيقه للقيم الصالحة التى يطالب التلميذ بتطبيقها.

* استخدام الموعظة فى تعليم القيم وغرسها لدى الناشئة بحيث تكون الموعظة بأسلوب محبب لطيف وغير ممل مع التنويع فى أساليب استخدام الموعظة وطريقة عرضها.

* استخدام القصة فى تعليم القيم بحيث تكون القصة جذابة فى عرضها مراعية للمستوى العقلى للطفل، وبحيث تخدم بصورة مباشرة تعليم القيم التى يراد غرسها فى الطفل.

* الاهتمام بملاحظة المربى للطفل والتأكد من أن ما يقرأه من كتب ومن يصادق من أصدقاء وما يتعلمه من مبادئ وأفكار لا تغرس فيه إلا القيم الصالحة، وتقويم ما يراه المربى من اعوجاج فى هذا المجال.

* استغلال الطاقات الكامنة لدى الأطفال وتوجيهها وإطلاقها ولكن فى الاتجاه الصحيح وبما ينمى لديهم القيم الصالحة المرغوبة.

* العمل على ملء فراغ الأطفال بما فيه فائدتهم جسميًا وعقليًا وفكريًا وخلقيًا، وعدم ترك فراغ لديهم يقومون بملئه دون رقابة مما قد يؤدى إلى انحرافهم.

* استغلال الأحداث التى تقع فى بيئة الطفل لغرس القيم الصالحة والتنفير من القيم غير المرغوب فيها.

المراجع

١ ــ أحمد، لطفى بركات. (١٩٨٦)، «فى فلسفة التربية». الرياض: دار المريخ للنشر.

٢ ــ بلقيس، أحمد. (١٩٨٦) «الاتجاهات وطرائق تعديلها وقياسها فى التعليم المدرسى » (EP/ 16). عمان ــ الأردن: دائرة التربية والتعليم بوكالة الغوث.

٣ ــ حجو، غازى. (١٩٨٦) «القيم والاتجاهات وطرائق تعليمها فى مادة اللغة العربية (A 36 / 86) عمان ــ الأردن: دائرة التربية والتعليم بوكالة الغوث.

٤ ــ طهطاوى، سيد أحمد. (١٩٩٦). «القيم التربوية فى القصص القرآنى»، مصر: دار الفكر العربى ط١.

٥ ــ العادلى، فاروق محمد ()«التربية وغرس القيم». مجلة التربية (قطر) العدد (٧٢) ص ٧٧ ــ ٨١.

٦ ــ عبد الوهاب، هاشم سعيد، (١٩٨٦) «دور المعاهد التقنية فى مجتمع عربى متغير» المجلة العربية لبحوث التعليم العالى. العدد ٥ ــ ٦.

٧ ــ علوان، عبد الله ناصح. (١٩٨١) «تربية الأولاد فى الإسلام» بيروت: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

٨ ــ الغزالى، محمد.(١٩٨٠) «خلق المسلم». دمشق ــ بيروت: دار القلم. ط٢.

٩ ــ الغزالى، محمد، (١٩٧٩) «حصاد الغرور». القاهرة: المختار الإسلامى .ط٢.

١٠ ــ غزاوى، زهير (١٩٩٣) «نمو القيم والاتجاهات عند طفل ما قبل المدرسة» بيروت: دار المبتدأ للطباعة والنشر. ط١.

١١ ــ القرنشاوى، عبد الجليل وآخرون، (١٩٦٣) «الموجز فى أصول الفقه» القاهرة: جامعة الأزهر ــ كلية الشريعة. ط١.

١٢ ــ قطب، سيد (١٩٧٨). «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته». بيروت ــ القاهرة: دار الشروق ط٤.

١٣ ــ قطب، محمد (١٩٨٢) «منهج التربية الإسلامية.الجزء الأول» بيروت ــ القاهرة: دار الشروق ط٦.

١٤ ــ المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا (١٩٩٣) «تأصيل القيم الدينية في نفوس الطلاب» دراسات تربوية. المجلد (٨)، الجزء (٥٥) ص: ٢١٤ ــ ٢٣٢.

١٥ ــ محمد، عبد الراضي إبراهيم. (١٩٨٩)«موقع القيم من بعض فلسفات التربية» دراسات تربوية. المجلد ج/١٦ ص: ١١ ــ ٣١.

١٦ ــ الناشف، عبد الملك (١٩٨١) «القيم وطرائق تعليمها وتعلمها» EP/ 13 عمان ــ الأردن: دائرة التربية والتعليم بوكالة الغوث.